

المبحث الثامن : جوده وكرمه ۱

الجود والكرم خُلِقَ عظيم وهو على عشر مراتب على النحو الآتي:

1 - الجود بالنفس وهو أعلى مراتب الجود.

2 - الجود بالرياسة، فيحمل الجواد جوده على الجود برياسته والإيثار في قضاء حاجات الناس.

3 - الجود براحته، فيجود بها تعباً في مصلحة غيره.

4 - الجود بالعلم وبذله وهو من أعلى مراتب الجود، وهو أفضل من المال.

5 - الجود بالنفع بالجاه كالشفاعة وغيرها.

6 - الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه، فكل يوم تعدل فيه بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فترفع متاعه عليها أو تحمله عليها صدقة، والكلمة الطيبة صدقة.

7 - الجود بالعرض، كمن يعفو عن اغتابه، أو سبه، ونال من عرضه، كما فعل أبو ضمضم.

8 - الجود بالصبر، والاحتمال، وكظم الغيظ، وهذا أنفع من الجود بالمال.

9 - الجود بالخلق الحسن، والبشاشة، والبسطة، وهو فوق الجود بالصبر.

10- الجود بترك ما في أيدي الناس عليهم فلا يلتفت إليه.

ولكل مرتبة من الجود مزيد وتأثير خاص في القلب، والله سبحانه قد ضمن المزيد للجواد والإتلاف للممسك، والله المستعان⁽¹⁾.

وكل أنواع الجود والكرم قد اتصف بها رسول الله ﷺ، ومن الأمثلة العظيمة لتطبيق الجود والكرم بالمال ما فعله رسول الله ﷺ في الأمثلة الآتية:

المثال الأول: وصف أنس ﷺ لكرمه ﷺ:

¹ () انظر: مدارج السالكين لابن القيم 2/293- 296 بتصرف.

عن أنس قال: ما سئل رسول الله على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قومي أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة⁽¹⁾.

وهذا الموقف الحكيم العظيم يدل على عظم سخاء النبي ، وغزارة جوده⁽²⁾.

وكان يعطي العطاء ليتغاء مرضاة الله - عز وجل - وترغيباً للناس في الإسلام، وتأليفاً لقلوبهم، وقد يُظهر

(1) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل عن شيئاً فقال: لا، 4/1806، برقم 2312.

(2) انظر: أمثلة كثيرة من كرمه وجوده في البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا عبدان 1/30، برقم 6، وكتاب الأدب باب حسن الخلق وما يكره من البخل 10/455، برقم 6034، وكتاب الرقاق، باب قول النبي : لو أن عندي مثل أحد ذهباً 11/264، برقم 6445، 11/303، برقم 6470، وكتاب الكفالة، باب من تكفل عن ميت ديناً فليس له أن يرجع 4/474، برقم 2296، وكتاب التمني، باب تمنى الخير، وقول النبي : لو كان لي مثل أحد ذهباً 13/217، برقم 7228، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله عن شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه 4/1805، 1806، برقم 2311-2314، وكتاب الزكاة، باب من سأل بفحش وغلظة 2/730، برقم 1056-1058، وباب تغليب عقوبة من لا يؤدي الزكاة 2/687، برقم 991.

الرجل إسلامه أولاً للدنيا ثم - بفضل
الله تعالى، ثم بفضل النبي ﷺ ونور
الإسلام - لا يلبث إلا قليلاً حتى ينشرح
صدره للإسلام بحقيقة الإيمان، ويتمكن
من قلبه، فيكون حينئذٍ أحب إليه من
الدنيا وما فيها⁽¹⁾.

المثال الثاني: وصف صفوان لكرمة ﷺ :

روي مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ
غزا غزوة الفتح
- فتح مكة - ثم خرج ﷺ بمن معه من
المسلمين فاقتتلوا يحنين، فنصر الله
دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ
يومئذ صفوان بن أمية مائة من الغنم،
ثم مائة، ثم مائة. قال صفوان: والله
لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني
وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح
يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ⁽²⁾.

وقال أنس - ﷺ -: (إن كان الرجل
ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى

(1) انظر: شرح النووي على مسلم 15/72.
(2) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل ﷺ شيئاً
قط فقال: لا، وكثرة عطائه 4/1806، برقم
2313.

يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها⁽¹⁾.

وإذا رأى الرجل ضعيف الإيمان، فقد كان يجزل له في العطاء، قال :
«إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن تكب في النار على وجهه»⁽²⁾، ولذلك كان يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل⁽³⁾.

المثال الثالث: ما فعله مع المرأة المشركة :

من كرمه وأخلاقه العظيمة في ذلك ما فعله مع المرأة المشركة صاحبة المزداتين، فإنه بعد أن أسقى أصحابه من مزداتيهما، ورجعت المزداتان أشد ملاءةً منها حين ابتدا فيها قال لأصحابه

(1) المرجع السابق، في الكتاب والباب المشار إليهما أنفاً 4/1806، برقم 58 - (2312).

(2) البخاري مع الفتح، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: ﴿ 3/340 ﴾، برقم 1478، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من يخاف على إيمانه 2/733، برقم 1059.

(3) البخاري مع الفتح، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي يعطي المؤلفعة قلوبهم 6/249، برقم 3143 - 3349.

«اجمعوا لها»، فجمعوا لها - من بين
عجوة ودقيقة وسويقة - حتى جمعوا لها
طعاماً كثيراً وجعلوه في ثوب، وحملوها
على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها،
فقال لها: «أذهبي فأطعمي هذا
عيالك، تعلمين والله ما رزأناك⁽¹⁾
من مائك شيئاً، ولكن الله هو
الذي أسقانا».

وفي القصة أنها رجعت إلى قومها
فقالت: لقيت أسحر الناس، أو هو نبي
كما زعموا، فهدي الله ذلك الصرم⁽²⁾
بتلك المرأة، فأسلمت وأسلموا⁽³⁾.

وفي رواية: فكان المسلمون بعد ذلك
يغيرون على من حولها من المشركين
ولا يصيبون ذلك الصرم الذي هي فيه،
فقالت يوماً لقومها: ما أرى أن هؤلاء
القوم يدعونكم عمداً، فهل لكم في
الإسلام؟ فاطاعوها، فدخلوا في

() أي: لم ننقص من مائك شيئاً. انظر: فتح
الباري 1/453.

() الصرم: أبيات مجتمعة من الناس. انظر: فتح
الباري 1/453.

() البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات
النبوة 6/580، برقم 3571، وأطرافه في البخاري:
برقم 344، ورقم 348، ومسلم، كتاب المساجد
ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة
واستحباب تعجيل قضائها 1/476، برقم 682.

الإسلام⁽¹⁾.

وقد كان سبب إسلام هذه المرأة
أمران:

الأمر الأول: ما رآته من أخذ النبي ۞
وأصحابه من مِزادتيها ولم ينقص ذلك
من مائتها شيئاً، وهذا من معجزات النبي
۞ التي تدل على صدق رسالته.

الأمر الثاني: كرم النبي ۞ حينما أمر
أصحابه أن يجمعوا لها، فجمعوا لها
طعاماً كثيراً.

أما قومها، فقد أسلموا على يديها؛ لأن
المسلمين صاروا يراعون قومها بإقرار
النبي ۞ على سبيل الاستئلاف لهم، حتى
كان ذلك سبباً لإسلامهم⁽²⁾.

وهذه الأمثلة التي سقتها ما هي إلا
قطرة من بحر من كرم النبي ۞، فما
أحوجنا إلى الاقتداء بالنبي ۞ والاقتباس
من نوره وهديه في دعوته وفي أموره
كلها، والله المستعان.

¹ () البخاري مع الفتح، كتاب التيمم، باب الصعيد
الطيب وضوء المسلم بكفيه من الماء 1/448،
برقم 344.

² () انظر: فتح الباري 1/453.